معركة من أجل القيم الروحية

شارل سان بروت

ترجمة: نسري حام المعروفي

إن ما يهدد العالم الحديث فضلا عن الأزمات المالية وعلل الاقتصاد الوهمي العالمي يتمثل في الأزمة الثقافية والدينية. إن هذه الأزمة لخطر يحدق ببقاء الحضارات التي ترتكز على أسس دينية. لهذا السبب يجب أن يصبو تحالف الحضارات ولاسيما بين أكبر ديانتين موحدتين إلى تحقيق هدف ملموس يتجلى في شن معركة من أجل القيم الدينية.

يجب إذن أن نؤسس لعمل مشترك من أجل تشييد عالم سيسترد دلالته الدينية حتى لا يغدو مأرضة متماثلة.

إن النتيجة الأولى التي أعقبت الأزمة المالية التي تسارعت أحداثها منذ شهر شتنبر 2007 والناجمة عن أزمة القروض المندلعة في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تفشت في دول أخرى بسبب تفاعل الاقتصاديات فيما بينها، تتمثل في إظهار أن الإيديولوجية التحررية لا تستطيع أن تقاوم المجازفات التي تنجم عنها. ومن ثم انهارت جميع مبادئ الشمولية أو العولمة السعيدة. وشرب من كأس الأسى كل من كان فيما مضى يفيض شعرا عن الإيديولوجية التي تنادي بتراجع الدولة، وصاروا أول من يطالب بإلحاح بتدخلها لإيجاد حل لهذا التدهور الذي أثاره نظامهم وممارساتهم وعجز مؤسساتهم على غرار صندوق النقد الدولي للعب دور الضابط.

إننا نعلم أن المجتمع الليبرالي هش للغاية ومنبع لضروب عديدة من أزمات المتغيرات. وأمام هذه الأزمات تكتشف الشعوب من جديد شرعية الدولة الحارس الوحيد الناجع للممتلكات العامة.

بيد أنه هناك أزمة أخرى تهدد أمن العالم الحديث، أزمة أكثر خطورة رغم أنه يتم إدراكها بشكل أخف، يتعلق الأمر بالأزمة الثقافية والأخلاقية. إنها أزمة تحدق بالحضارات المرتبطة بشكل وثيق بكل ما هو روحي وبمعنى آخر مرتبطة بالدين. وفي هذه الظروف من المهم أن نسجل حيوية الإسلام التي توفق بشكل متناغم بين الديني والدنيوي. ومن ثم يمكننا أن نتصور أن الإسلام أضحى أحد الدعائم الأساسية لإرساء تحالف من أجل القيم الدينية.

الخطر الذي يحدق بالحضارات

أصبح العالم بعد الحرب الباردة بمعنى عالم القرن الواحد والعشرين فضاء ماديا محضا. إنه عالم الشمولية الذي يطبعه إحساس الخسارة أو فقدان المعنى. وقد أشار مصطفى الشريف إلى ذلك بقوله: «أنه يبدو أن الغرب يقود العوالم الأخرى إلى إفناء كل ما هو رباني بمعنى الخروج من الدين نحو مصير مجهول».

وبتعبير آخر، إن الأزمة الحقيقية التي توصف أنها أكثر خطورة من انهيار الأسواق المالية والاقتصاد الوهمي والخدع المالية تكمن في المادية العظيمة، ولعل هذه الأخيرة التي تجتث كل ما هو ديني شرعت تنخر البلدان الغربية أو ما يطلق عليه الغرب.

ومن ثم فقد كان البابا بونوا السادس عشر على بينة حينما حذر من الإفراط في الحداثة المادية. بل الأدهى من ذلك التحليل غير المنتظر الذي عرضه الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي أثناء زيارته لروما شهر دجنبر 2007 قائلا:

«منذ عصر الأنوار، اختبرت أوروبا كثيرا من الأيديولوجيات. لقد وضعت بالتتابع آمالها في تحرير الأفراد وفي الديمقراطية وفي التطور التقني وفي تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية وفي إرساء الأخلاق العلمانية. لقد تاهت بشكل خطير في النظامين الشيوعي والنازي. ولم تكن أي من هذه المنظورات، التي لا أضعها بالطبع في الدرجة نفسها، قادرة على سد الحاجة الماسة للرجال والنساء لإيجاد مغزى لوجودهم».

إن العالم الشمولي يتسم على وجه الخصوص بإحساس الخسارة أو بغياب المعنى. و نجد الأنكى من التثاقف خطر «اللامعنى»، في حين يتجلى اللامعنى في الانزلاق المحتوم نحو عالم لا إنساني تجاري وغير ديني. وتحت تأثير عولمة لن تكون آخر مطاف نظام يؤول نحو خلق مجتمع شمولي موحد ونفعي ينظم تقنين الثقافات وتحميس الفرد دون نار ولا مكان، تتعرض الإنسانية لخطر حرمانها من «العنصر الأخلاقي للحياة».

إن ما يثير الجدل هو ظهور فكرة الإنسان والإنسانية، إنها كرامة الإنسان التي يهددها زوال العامل الديني وتشرذم الجماعة لفائدة كل ما هو فردي.

ولعل الخطر الذي يحدق بنا ليس صداما غير محتمل للحضارات ولكنه زوال هذه الحضارات نفسها. ولذا فإن المواجهة ليست بين الديانة الإسلامية والغرب الذي لطالما أمسى أقل تشبثا بالديانة المسيحية حيث أضمرت الحضارات بأوروبا وأمريكا الشمالية الإجلال للتطور المادي وللمبدأ النفعي مزيحة كل أخلاق روحية.

بل المواجهة الحقيقية —التي يوفر لها مستقبل الإنسانية الرهان المطلوب— ستظهر بين الحضارات وأمام خطر الهمجية الجديدة. وفي السياق نفسه، قد يسنح هذا الوعي

بحصول حوار بين الحضارات ولاسيما حوار بين الديانتين الموحدتين والعالميتين اللتين تعدان أساس حضاراتنا.

الدين والحضارة

يبدو من غير اللائق طبعا الحديث عن الدين في الغرب حيث يستحضر ما يطلق عليهم «بالمتقدمين» «روح القرن» الذي ينبغي اتباع حذافيره، غافلين من أن روح القرن هذا ليس سوى شهوات والأشكال التي تسيطر عليها.

وقد لاحظ روني جينون أن طرد العامل الديني ليس عملا بريئا: «بل إنه الشرط الأساسي لظهور الإيديولوجية، وعلى أساسه تنسج هذه الأخيرة ستارها الوهمي»، ونجم عن إصرار الإيديولوجيات المادية الماركسي منها والليبرالي أو غيرهما التي رفضت الدين وصبت إلى العيش بدونه، نجاحها في إرساء دعائم عالم تغيب فيه الحياة الروحية، وهو ما أطلق عليه الكاتب الكبير جورج بيرنانو ظهور عالم الرجل الآلي.

في الحقيقة، وبعيدا عن تحرير الإنسان من القيود الوهمية، عملت الإديولوجية المادية والمعادية للدين على إخضاع الإنسان. وغالبا ما لم تحمل معها النور بل حملت الظلام. والأدهى من ذلك، رافق زوال العنصر الديني تحت وطأة النظريات، التي سارعت الثورة الفرنسية بظهورها، زوال الحضارة الإنسانية وكما أشار إليه الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي في خطابه الذي ألقاه بالرياض أن «في عمق كل حضارة نجد شيئا مرتبطا بالدين، شيء ينجم عن الدين».

ولعله من الأهمية بمكان أن نسجل هذا الحديث لرئيس الجمهورية الفرنسية، يتعلق الأمر هنا بظهور قطيعة مع علمانية حربية حيث قاد التعصب والتطرف إلى

ظهور إيديولوجية موالية مفرطة بل وقمعية حيث تم اضطهاد الأفراد بسبب معتقداتهم الدينية.

ومن اللافت للنظر أن الرئيس ساركوزي قد عرض تصوره لعلمانية هادئة وإيجابية مزيلة بعض التجاوزات وحيث قد يتم تعريف مكانة الدين بشكل إيجابي أكثر.

ومن المستحب الإشارة إلى أن العلمانية فكرة فرنسية نتجت عن تاريخ سياسي وديني خاص، ترتكز على النموذج السياسي الذي اختارته الجمهورية الفرنسية «بهدف فض نزاع عريق بين الدولة والكنيسة».

فإذا لم تستطع، كما أكد فوكو ذلك، تصوراتنا الثقافية أو الإيديولوجية أن تصل إلى العالمية بما أنها تنبثق من منطق أو من تاريخ معين، فإنه يتعين الإعتراف أن العلمانية ليست مبدأ عالميا صالحا لكل زمان ومكان. ومن اللافت أيضا أن تعبير علماني تتعذر ترجمته إلى جميع اللغات. فاللغة الإنجليزية تستعمل كلمة «secular» الذي يحتوي على «مفهوم البعثة» تقابله كلمة «laïc» الفرنسية، أما اللغة الألمانية فتستعمل كلمة «weltlich» واللغة العربية كلمة علماني أو ملحد.

وأدت التصرفات الشنيعة التي نجمت عن الإيديولوجيات العلمانية التي تنتسب إلى عصر «الأنوار» وإلى عصر التقدمية –أكانت ماركسية أو غير ذلك– ثم عصر المادية، إلى ظهور شكوك حول شرعية المبدأ العلماني المطلقة أو التي تدعي أنها كذلك، والتي يتعين أنها تحمي الإنسان من التعصب.

كما تخللت القرن العشرين اعتداءات وحشية استثنائية تتمثل في الإبادة الجماعية التي اقترفها النظام العلماني التركي ضد الأرمن (وذلك تنافيا مع التسامح الذي يدعو إليهما الإسلام والإمبراطورية العثمانية)، والمجازر التي ارتكبها النظام النازي في ألمانيا، والشيوعيون (في عهد سطالين بالإتحاد السوفياتي وماوتسي تونغ بالصين والخمير الحمر بالكامبودج)، والقصف الذي تعرضت له مدينتي هيروشيما وناكازاكي بالقنابل

الذرية، وملايين الأموات جراء استعمال أسلحة كيماوية وقنابل النابلم وأسلحة أخرى للدمار الشامل أثناء حرب فيتنام، ومليونا عراقي وقعوا ضحية الحصار ثم اجتياح الولايات المتحدة الأمريكية، ومليون أفغاني أبيدوا أثناء الاحتلال السوفياتي —دون احتساب الضحايا المجهول عددهم والذين سقطوا أثناء العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي الناتو—

تلكم المجازر والدمار الهائل لا تمت للتعصب الديني بصلة، ورغم وجود المتعصبين العلمانيين، فإنها ناجمة عن إيديولوجيات أو أنظمة علمانية.

ولعله من الصواب أن يعود الناس إلى القيم الدينية وذلك بالنظر إلى الانحرافات الهائلة التي قادت إليها الإيديولوجيات العلمانية المستبدة والأنظمة الإمبريالية وخيبة النظام الاستهلاكي الليبرالي. بيد أنه علينا اعتبار أن المذهب الفرداني والمذهب المادي والمذهب الاستهلاكي وعبادة العجلة وعبادة الحركة من أجل الحركة وأيضا العلمانية الجامحة تعد قاعدة القيم الأخلاقية والاجتماعية المقبولة، ويجب الاعتراف أن دور الدين الجامح لم يول بعد، كما يجد الأمل الديني كل نجاعته لإعادة بناء سياسة حضارية.

في مثل هذه الظروف، يرجع الفضل إلى الديانات —أساس حضارتنا الأوروبية والإسلامية— لتشجيع الحوار. وأكيد أنه يجب ألا يصبح هذا الحوار شعارا وألا يختزل في صورة هذه الخطابات الجميلة التي تلقى في المؤتمرات أو المحاضرات الدولية. كما يجب ألا يتم خلطه مع البحث عن توفيقات غير مرغوب فيها، وإنما يتعين أن يشجع تداولات مثرية في إطار احترام متبادل لجميع الهويات والاختلافات التي يتعين ألا يقلل من شأنها أو يتغالى فيها.

إننا نتحدث هنا عن تحالف للحضارات والواجب الملح للمرور من المرحلة النظرية إلى المرحلة التطبيقية. إلا أنه يبدو في غاية الأهمية أن نوضح أن التحالف لا

يعني الغموض ولا الخنوع. لهذا ولكي يطبق التحالف يتعين أن يرتكز على قواعد متينة وينبني على أهداف محددة.

إن الحوار بين الديانات المسيحية (الكاثوليكية والأرثوذوكسية والبروتستانتية) والديانة الإسلامية يقتضي في البداية التعارف بشكل جيد فيما بينها.

ويؤدي ذلك إلى ظهور تداولات ولقاءات ونقاشات، ويؤدي كذلك إلى تشجيع من هذا الطرف أو ذاك لتتعرف بشكل أحسن على الديانات الأخرى وعلى الحضارات الأخرى: أفكر في البرامج التعليمية (مثلا تعلم التاريخ) والمناهج الجامعية (مثلا تعلم القانون المقارن) وأفكر أيضا في برامج الإذاعة والتلفزة والسينما وفي الإصدارات إلخ...

لذلك من الأفضل أن نتعارف جيدا.

ثم يجب أن يكون الحوار هدفا لحصر جيد لنقط التوافق وإبراز القيم المشتركة والمبادئ الأساسية بشكل جلي. كما يجب إرساء دعائم تحالف للعمل معا ومن أجل إدماج المبادئ الأخلاقية والقيم الروحية في خضم الحقائق الملموسة، بمعنى التوفيق بين الدين والدنيا.

ينبغي إذن أن نشيد تحالفا لكي نقود المعركة الكبرى لفائدة القيم الدينية بشكل يجعل عالم الغد لا تطاله المادية العدمية التي تمزج بين التطور التقني والتقدم الأخلاقي، ولا أن تطاله عبادة الفرد. وفي هذا الصدد، يجب أن ننظر إلى الفردانية على كونها تتم ترجمتها عبر تصور فرد في حالة عصيان ضد الإنسانية والمجتمع، فرد ضيق التفكير، معزول لا يحكمه إيمان ولا قانون، تائه بسبب رفاهية تافهة (حسب وحدة باسكال لقياس الضغط).

ومن أهم الخصائص التي يتسم بها العالم المادي تتمثل في الفردانية التي تتناقض والديانات، تلكم المعتقدات التي تصبو إلى خلق أواصر العلاقات بين الناس ولم شملهم.

وبات اليوم أكثر من ذي قبل دور الديانات يتمثل في إعادة الناس إلى الحقيقة والمنطق. وفي إعادة إعطاء معنى ومنح الثقة وذلك من أجل ملء الفراغ الذي خلفته السلوكات المعاصرة.

وقد وصف الكاتب الكبير الروسي ألكسندر صولجينيتسين الفراغ الديني للغرب على كونه فراغ لا تعاني منه حتى الآن الدول الإسلامية، إذا ما أردنا أن نعتبر أن الإسلام ينتمي إلى الأنظمة الكبيرة التي تدافع عن فكرة الإنسان. فإننا نفهم بشكل أفضل دور الإسلام في العالم الحديث.

دور الإسلام

أظهر جاك بيرك الديناميكية التي يتسم بها الإسلام قائلا: «لا يظهر الإسلام كنظام أراد أن يرد للعالم شبابه أثناء مرحلة تقهقره»، بيد أن العالم ما يزال يرزح في تدهوره الأخلاقي والديني.

ويحافظ الإسلام على القدرة نفسها الدائمة ليطور نفسه ويحدث تغييرا وتطورا يشمل المجال القانوني وذلك ببذل مجهود جبار لفهم الشريعة والاقتباس بهدف إحياء الفقه.

ولعل فهما جيدا للإسلام يتطلب بذل قصارى الجهد لإحيائه، وسيغدو ذلك فائدة تنعم بها الإنسانية جمعاء مادام الأمر يرتبط بمواجهة فوضى عالمية جديدة لا تعترف بمكانة الإنسان ومواجهة اختلاف الحضارات ومواجهة فكرة الحضارة نفسها.

وهكذا لا يعتبر الإسلام بمعية الديانات الإبراهيمية أمين القيم الخاصة والعالمية فحسب وإنما يعتبر الرصيف الأساسي للمقاومة.

وما يذكرنا به الإسلام يتمثل في أن الحياة والحضارة لا تكمنان في أفراد متوالين وآيلين إلى الزوال، ولكنهما تكمنان فيما يمنح الجميع وحدة ومعنى. وستغدو رسالته تحية جديدة إذا وجد في تقاليده الأصيلة القوة الضرورية لإحياء ديناميكية النهضة.

إن العالم الإسلامي يواجه تحديا يتمثل في البحث عن سبيله الخاص لتحقيق تقدمه في إطار الحضارة الإسلامية والتعاليم الإسلامية المقدسة، بمعنى أن يوفق بين استمراره والمبادئ المنبثقة عن الوحي والتغييرات التي يقتضيها تطور المجتمعات. وقد عرضت في إصداري الأخير أن هذا ما يحدده بالضبط دور الاجتهاد.

إن الهدف الأخير يتمثل في تقديم بديل صادق ليس للغرب وإنما للإيديولوجية المسيطرة في الغرب بمعنى نظام ليبرالي يفوق كونه تقنية اقتصادية، بل يعد تصورا شاملا يرتكز على الاستهلاك والمنفعة وتحقيق الربح. يتعلق الأمر باقتراح نهضة إنسانية تواجه انحراف عالم يفقد الإدراك وحيث ما فتئت المادية والفردانية والمحاولات المشتركة أو الطائفية تتقدم وتتفشى. ومن ثم يلاحظ أندريه ميكيل أن القضية لم تعد إذن الانقلاب ضد الغرب والنماذج التي يقترحها ولا البحث على هوية تلائم تلكم النماذج.

«بل القضية تتمثل في إيجاد هذه الهوية عينها وربما عبرها يتم اقتراح نماذج جديدة لاستمرارية هذا العالم. ولعل الحلم القديم للإصلاحيين الإسلاميين، الذي كان عرضة أحيانا للسخرية والذين كانوا نهاية القرن التاسع عشر للميلاد يطالبون، تحت شعار التقدم، بالتحكم في تقنيات الغرب وباسم السلام رفض نزعته التجارية، ذلكم الحلم القديم الذي قد يصدح عبر نغماته المحذرة معلنا ظهور الشبيبة المسترجعة».

وإذا كان يتعين على الغرب أن يفهم الإسلام، ليس لأنه قد يصبح التهديد الكبير القادم فحسب كما يدعي ذلك المحافظون الجدد في أمريكا وإنما لأنه يحتوي على كثير من القيم الأخلاقية التي فقدها الغرب.

وقد قاد جنون الحداثة –التي تعني ببساطة الموضة والآني والزائل– كثيرا من الغربيين إلى التباهي بكونهم رجال المستقبل لسبب وحيد يتمثل في تنكرهم لماضيهم. وبقدر ما يؤكدون أن الله ميت، اقتنع الرجل العصري بكونه الإله الوحيد. ورغم هذه الغطرسة اللانهائية، فإن هذا الإله هو إله شاحب وباهت بما أنه ينقلب نحو نشاط تجهل نهايته، تمتصه الشهوات المادية، كما أنه دخل في سباق جامح نحو العدم، تضله ضروب التسلية التافهة التي ستؤدي به نحو الهلاك.

ولهذا فإن الإسلام هو «رسالة نحتاج إليها، نحن الغرب، الذين فقدنا الإحساس بالله»، وتسمح هذه الملاحظة الجلية الصادرة عن كاهن كاثوليكي ميشيل لولونغ بالتأكيد أن الإسلام يمكن أن يساهم في التعرف على القيم في عالم تتهدده الشمولية المادية، وذلك عبر محافظته على المكانة الهامة التي تحظى بها القيم الأخلاقية كخاصية أساسية للمجتمع الإنساني.

وهذه الشمولية لا تهدد القيم الحضارية فحسب وإنما تمثل فشلا ذريعا في المجال الاقتصادي. فالتدهور المالي الذي بدأ سنة 2007 مع ظهور أزمة القروض الفرعية بالولايات المتحدة الأمريكية، أظهر هشاشة النظام المالي الذي ليس سوى آلة خرقاء أطلقت للعيش بسرعة دون ضوابط ودون مراقبة السياسية ودون أخلاق.

وقد سمحت هذه الأزمة المالية بالتذكير بوجود بديل أخلاقي يتعلق الأمر بالنظام المالي الإسلامي الذي يرتكز على المبدأ الأساسي الذي يتمثل في أن المال لا يمكن استعماله إلا لتمويل الاقتصاد الحقيقي. ولعل ترجمة هذا المبدأ لغاية في البساطة إذ يجب أن يقابل كل قرض من القروض أصل معروف، ولا يمنع هذا المبدأ وجود المواد

السامة فحسب وإنما يحول دون وجود الاقتصاد الوهمي للتمويل. وهكذا قد يستطيع النظام المالي الإسلامي إعادة إرساء تنظيم أخلاقي لتدفقات رؤوس الأموال على المستوى العالمي. وفي جميع الأحوال، فإن القيم التي يحملها النظام المالي الإسلامي يتعين على الجميع أن يستلهموا منها «الشفافية والتوزيع العادل للأرباح والخسارة والتعاون بين الشركاء من أجل تحقيق نجاح المشروعات الاقتصادية المشتركة... بمعنى كل ما يناقض الممارسات التي تتفشى في الاقتصاد الوهمي والتي قادت إلى اندلاع الأزمة».

خاتمة: المعركة من أجل إرساء قيم دينية

تذكرنا العقول النيرة التي تزخر بها الديانتان الكبيرتان أن المشاكل مشتركة فيما بيننا، على غرار فصل الدين عن الدنيا والتوازن بين الدين والدنيا، وأن المعرفة الجيدة بالآخرين يؤدي إلى إرساء احترام الاختلافات والمحافظة على القيم أمام متطلبات السوق العالمي. ويغدو، في ظل هذه الظروف، الحوار البناء والطموح بين الحضارات حاجة ماسة.

إنه بالضبط التحليل الذي قام به البابا جون بول الثاني ثم خلفه بونوا السادس عشر الذي صرح في 25 شتنبر2006 أمام سفراء الدول الإسلامية ما يلي: «لا يمكن اختزال الحوار بين الديانتين الإسلامية والمسيحية وكذا الحوار بين هذه الثقافتين في اختيار عابر. بل يعتبر ضرورة حيوية يتوقف عليها بشكل أساسي مستقبلنا. ففي عالم تطبعه النسبوية بإقصاء أحيانا كثيرة سمو شمولية العقل، فإننا نحتاج بقوة إلى حوار صادق بين الديانات وبين الثقافات، حوار قادر على مساعدتنا على تخطي جميع التوترات في إطار تعاون مثمر.

وبالاستمرار فيما شرع فيه سلفي البابا جون بول الثاني، أتمنى بقوة ألا تشهد العلاقات المتينة التي تطورت بين المسيحيين والمسلمين منذ سنوات عدة، استمرارا فحسب وإنما أن تشهد تطورا في ظل حوار صادق ومحترم يرتكز على تعارف متبادل يعترف بكل سعادة بالقيم الدينية التي نتقاسمها والتي وبكل أمانة تحترم الاختلافات [...]

أنا مقتنع تماما أنه في الوضع الذي يشهده العالم اليوم، من اللازم أن يلتزم معا المسيحيون والمسلمون لمواجهة التحديات العديدة التي تعرفها الإنسانية...»

وعقب لقاء تاريخي عقد في 6 نونبر 2007 بين البابا ونظيره الملك عبد الله حامي الحرمين الشريفين، صرح هذا الأخير قائلا:

«لقد ولى الزمن الذي كانت تتصارع فيه الديانات، إنه زمن يجب أن تخوض فيه الديانات معا معركة ضد تراجع القيم الأخلاقية والدينية وضد المادية وضد طغيان الفردية».

إنه إذن إرساء تحالف بين الديانات ما كان يدعو إليه عاهل المملكة السعودية. وفي الحقيقة، آن الأوان لإجماع الديانات التوحيدية الكبيرة لجعل حوار الحضارات حوارا متماسكا. وحتى لا يغدو هذا الحوار شعارا، ينبغي أن يأخذ شكلا ملموسا يتمثل في العمل المشترك لتشييد عالم سيسترد مغزاه الديني وحتى لا يغدو مأرضة متماثلة تتخللها القوى الآلية.

إن التساؤل الذي يتعين علينا طرحه يتمثل في ما يلي: ماذا يتبقى من الرجل عندما يفقد إنسانيته والمبادئ الأخلاقية الثابتة وكل مشروع للحضارة؟. إن العالم يحتاج إلى حضارات قوية وحازمة وقلما ستتواجه بحدة، تلكم الحضارات تحتاج بشكل ملموس إلى التعاون لكي ترجح كفة الإنسانية أمام الشمولية المستبدة التي تجتث الحضارات.